بعض النجاح، عندما يتعلق الأمر بمنتوجات توجد بدائل عربية لها، الأمر الذي لم يتوافر إلا في حالات قليلة.

نمو الوجود اليهودي المستقل

أما المظهر الرابع من مظاهر الخطر الصهيوني في فلسطين فتجسد في تشكيل التنظيمات الصهيونية واتساعها وتوطد مركزها. كانت الحركة الصهيونية حركة انتظمت، قبل الاحتلال البريطاني لفلسطين، وكانت لها مؤسساتها المناسبة لطبيعة عملها، في ذلك الوقت. وفور صدور صك الانتداب، في عام ١٩٢٢، أصبحت الوكالة اليهودية منظمة معترفاً بها، كمسؤولة عن شؤون اليهود الخاصة وعن تنظيم هجرتهم لفلسطين وعن علاقتهم بسلطات الانتداب. ومع نمو الوجود اليهودي وتطوره، نمت وتطورت المنظمات اليهودية الصرفة: السياسية والنقابية والمهنية، وكذلك المنظمات الجماهيرية: الطلابية والنسائية والشبابية، كما نمت وتطورت، أيضاً مؤسسات الخدمات الخاصة باليهود وحدهم، في مجالات التعليم، والاسكان والصحة والثقافة والشؤون الاجتماعية، ومارس الصندوق القومي اليهودي (الكيرن كاييمت) وشركات شراء الأراضي دورهم، كما توطد مركز المجلس الملي اليهودي.

ومع تأسيس المستعمرات والأحياء والمدن اليهودية، الخاصة، ونموها وتوسعها بدأت تتشكل، بمبادرات يهودية متعددة المصادر، المنظمات شبه العسكرية؛ ثم العسكرية الصرفة. وقد جرى تشكيلها برضى السلطات البريطانية، غالباً، وبالرغم من رضاها، في بعض الحالات، وذلك فضلاً عن ألوف اليهود الذين حصلوا على التدريب في صفوف البوليس الحكومي ثم في صفوف الجيش البريطاني، إبان الحرب العالمية الثانية.

وكانت هذه الحركة التي تمت بتشجيع السلطات البريطانية الملتزمة بمشروع الوطن القومي، أو بغض نظر متفهم منها تجري تحت سمع العرب وأبصارهم، وتستفزهم، في وقت كانت فيه الشؤون العربية، شؤون أغلبية السكان الساحقة، مرتبطة، بحكم القانون، بالادارة البريطانية الموصومة بالانحياز لصالح اليهود.

وقد أدى النمو الاقتصادي والمؤسساتي للجانب اليهودي، إلى تنافي الوزن السياسي للصهيونية في فلسطين، بطبيعة الحال. واتجهت الأحزاب اليهودية التي كانت عشرين حزباً نحو التوحد في تيارات رئيسية: أحدها، عمالي، والثاني، برجوازي، والثالث، يقف بين بين. وجميعها تلتزم بما هو مشترك من مطالب الحركة الصهيونية ومشروعاتها، ولا تضم في عدادها إلا اليهود. وشذ، عن هذه القاعدة، الحزب الشيوعي الفلسطيني، التنظيم الوحيد في البلاد الذي ابتدأ مختلطاً (فيه العرب واليهود) والذي تأسس بمبادرات شيوعيين يهود قدموا إلى فلسطين.

وازدادت، على هذا الصعيد أيضاً، الهوة بين مستويات التنظيم لدى العرب واليهود. وفي حين كانت التنظيمات اليهودية تستند إلى قاعدة اقتصادية واجتماعية متقدمة، ظلت التنظيمات العربية أسيرة تأثيرات نمط الانتاج الاقطاعي وشبه الحرفي